أسرار النساء

كتاب ادبي عمراني اجتماعي

يتضمن ماهن عليه من مكر ودهاء ومحاسن

بقلم

الكاتب الاجتماعي المعروف

محمود كامل فريد

أيت مواعيد النساء كأنها سراب لمرتاد المناهل حافل
منتظر الوعود منهن كالذى يؤمل يوماً أن تلين الجنادل

طبع بنفقة عبد الحميد بهنسي صاحب مطبعة الترقى
بشارع الساحه ـ بأول الفواله بمصر



الاهداء

من المزعجات التي تؤلمني كثيرا . وحدت بي الى وضع هذا الكتاب . جملة اسباب يطول شرحها . اوقفت القلم حتي لااخوض في مضمارها هذا الشرح. ولست من هؤلاء الشبان الذين يميلون الى الاسهاب المفرط . ولم اكن ابداً ممن يميلون مع الاهواء ولذلك اكتب مطمئنا لاني اشعر بأنى قد قمت بواجبي خير قيام

فالي حضرات القراء الكرام. والى الامة المصرية الكريمة والى الشبان الناهض . وكل عاشق وامق يغار على شرفه ووطنه اهدى كتابي هذا (اسرار النساء)

مصر تحريرا فى يونيو سنة ١٩٢٥

المؤلف

محمود كامل فريد

كلمة للمؤلف

بعونه تعالى افتتح هذا الموضوع النفيس . تحت عنوان (أسرار النساء) وهو ذلك السر الغامض. الذى أشغل الافكار وتشعبت منه اسرر الحضارة . والعلم . والمدنية . والفلسفة... ولولا المرأة تشاطر الرجل حياته ما كان له عهد بالمدنيات والعلوم التي ينعم بها في الحاضر والماضي

انا فى حاجة شديدة الي اطالة الفكرة والبحث والتنقيب للوصول الى مقدمات صحيحة تكشف النقاب بوضوح وجلاء عن تاريخ المرأة . ولذلك فقد اقتبست هذا الكتاب من أصدق التواريخ حجة واظهرها بيانا . ولم اعتمد في وضعه على نظريات عاطلات اومستندات وأهيات . ولم أجعل الحدث والتخمين غرضا ابني عليهما موضوع ما كتبت

أقدمه اليوم لحضرات القراء الكرام عساه ان يكون خير مرشد لشباب مصر الناهض.

مصر فى يونيو سنة ٩٢٠ — المؤلف

تمهيد

إذا رأينا في نظام بلادنا عيبا . وأصبحنا نعتقد أن بيننا خلافا فلا شك أن العاقل يفهم من أول وهلة . أن سبب ذلك أهواء النساء وميول الشبان ولو أدرك العاقل حقيقة النساء. لتأكد انهن درجة واحدة من ذلك السلم الذى أفسده النقص الانساني

ومن درس أخلاق هذا العالم وطبائعه . ووقف على حقيقة هذا الكون ونظامه ـ لعلم أن المرأة على ماهى عليه من ضعف. تعرف كيف تملك مشاعر الرجل بما تولد فى قلبه من ميول وعواطف تدفعه الي حبها ...والاغرب من ذلك أنها تغار عليه اذا آنست منه ميلا الي أمرأة أخري . . . وكثيرا مانجد من فتاة شريفة . تندفع بعواطفها الى حبيب فتستسلم لهواه وتثق به ثقة عمياء . فيمزق حجاب عفافها فتسقط في الرزيلة وتندم حيث لا ينفعها الندم وبعكس ذلك نجد فتي تعرف بفتاة فاخلص لها الحب . فأذا هى ساقطة . لاتحفظ عهدا ولا تثبت على حب

البؤســـاء

فى عصور الاسلام

ان هذا الـكتاب من الـكتب الاثرية الخالدة يبحث فى البؤس وعلله وأسبابه مع ترجمة حياة طائفة كبيرة من هؤلاء البؤسام الاعلام . علماء الدنيا وفلاسفة الاسلام وقد حلاه مؤلفه بمالا يقل عن الاربعين رسما أثريا آخر ماوصل اليه فن التصوير فى العصر الاموي والدولة العباسية . — والـكتاب مع عذوبة ألفاظه . وسـلاسة تعبيره آية من آيات البـلاغة العربية ولم نكن مغالين اذا قلنا أنه بلغ الغاية القصوى فى علم الادب والاجتماع . بل هو من أعذب الـكتب النادرة وانه بطلاوته قد سد فراغا عظيما فى عالم الادب وكفاه تقريظا انه من موضوعات الكاتب الاجتماعى المعروف محمود كامل فريد

أطلبوه من جميع المـكاتب ومن مطبعة التقـدم بشارع محمد على بمصر وثمنه ١٠ قروش صاغ

صحيفة الفيضيين

لواء الاسلام

مجلة شهرية اسلامية علمية ادبية

هي المجلة الوحيدة التي تتصدي لحالة الحياه الاجتماعية وأسرار الدين الاسلامي الحنيف . بل هي غرض من الاغراض الشريفة تحض علي الاعمال الفاضلة . وتبحث في المثل العليا للحياة الاسلامية . تشترك فى التقدم المزدوج للفلسفة والاخلاق وتؤاتى النفس بحاجتها الغذاء الروحى والوجدانى . وتنشر لقرائها زبدة الادب القديم والحديث وهى على ماهى عليه من الفلسفة الراقية والآداب الصحيحة والتربية العالية آية من آيات البلاغة العربية . ولا بدع اذا قلنا أنها فيض مستمر من نغمات الله العالية يحررها المصلح الاكبر والاستاذ الجليل السيد محمود أبو الفيض المنوفى

سنتها اثني عشر شهراً اشتراكها السنوى ٣٠ قرشا صاغا لمصر والسودان وللخارج ٤٠ قرشا مركز ادارتها شارع حليم باشا نمرة ٣٠ بشبرا مصر

لانسان . . . وكثيراً ما تجد من فتيات ساقطات . يحرضن الشبان على الفسق . وناهيك بمنازلة الشوارع والازقة للتمتع بتلك الصلات الغرامية . . . هذه رزيلة من رزائل هذا المجتمع . ومما هو أنكى من ذلك أن هذه الموبقات منتشرة فى جميع الممالك ولكنها أكثر انتشارا في المدن الكبري

ومما ضاق له صدري وحزنت منه نفسي وجود هذا الخلل الظاهر فينا وبذلك صوتي عاليا وأشهد بفساد الكون ولكني لم أجد لفساده اكمالا – وفي تلك الحالة لا أعتقد بفضيلة الرجال . ولا بأمانة النساء . ولو كنت أعرف يقينا أن المرأة العفيفة المصونة . لا تغتر بأحاديث الخداع . ولا ينالها مريد . وتعرف كيف تحافظ على عرضها . وتدافع عن طهرها وكرامة نفسها أن الزواج هو الرابطة المقدسة . بل هو مصدر آداب المجتمع الانسانى . وهو الثدي الذي يرضع الفتيان والفتيات . الفضيلة مع حب الوطن

* * *

ومتي فهمت المرأة . ماهو العالم . والشرائع الدينية .

وواجباتها السامية فى هذا المجتمع الخافل . ماأرتكبت معصية . ولحق لها أن تسود على الناس . وتفتخر بكونها أما

أسأل الله أن يجعل كتابي هذا . خير واعظ لشبابنا الناهض . يقشع عن أذهانهم ماعلق بها . فيطهرها من دنس الغواية ويهديهم سوء السبيل . أنه على مايشاء قدير

الباب الاول

الانسان في مبدأ امره

كانت هيئة الانسان فى مبدأ أمره تقرب من الصورة الحيوانية غزير الشعر . حاد الاظفار . متوهج البصر . قوى العضلات . سريع العدو . رشيق الحركات . كثير الاشارات لقصوره عن التعبير ولم تزل فينا غالب هذه الصفات

وكان يجيد الصيد والقنص وساعده علي ذلك تركيب جسمه . وحيلته العقلية وشدة حاجته الي الاغتداء باللحم . والاكتساء بالجلد ليقيه البرد . وقد وصفه العلماء في هذا العهد

باوصاف كثيره . أهمها (رجل الطبيعة) و (ساكن المفاوز) و(الغاصب)و(المفتري)ولما انعكست عليه الطبيعةباطوارها علم بذباهته علم اليقين انهاساعةتحسن وساعةتسيءواستمدلطوارئها

ومن طبيعة الانسان الميل الى الشر . والاستبداد بمن هو أضعف منه قوة وأحط عزيمة ـ ولذلك أجمع العلماء الذين درسوا طباع البشر واخلاقهم على ان الانسان مخلوق بفطرته همجيا ـ وكان يعتصم بالكهوف ويزاحم الحيوان فى غارها وان أول بناء بناه اكواخ صغيرة تقيه حرارة الشمس وزمهرير البرد وأدوات اشغاله كانت من حجر الصوان . . . ولما كان الامل طبعا من طباعه الغرزية فيه صار . العنف . والقوة . والبطش . والطمع وحب الذات . خصالا ثابتة لا تتحول عنه

ولما كثرت زرية آدم عليه السلام تزوجت ذكور هذه الزرية بالاناث وكثر عددهم على توالى الايام . وأخذت هذه الزرية تتنافس وتتشاجر وتتخاصم . وباسباب المشاحنات انقسمت الى قبائل وعشائر . وتفرقت بالضروة الى جماعات متعددة ونشأت فيها العصبية التي تولد منها الطمع والجشع

للاستيلاء على ما بيد الغير . . . وهكذا كان تفرق الناس في السياسة وصارت كل قبيلة تنتمي الي رئيس تنتخبه منها. فنشأت من ذلك السيادة والرياسة في جميع الامم على اختلاف اجناسهم

وسطا الانسان علي الـكون باجمعه وأخضع المخلوقات لقدرته وسطا على المرأة أيضا وهي من جنسه وأعتبرها دونه وما اكتفي بذلك حتي امتدت سلطته علي الطبيعات فاخترق البحار وصدع الجبال .وألان بين يديه الحديد وناهيك بما قام من جليل الاعمال . وفظائع الوقائع . في ميادين القتال. واذا أشكل علينا ذلك فقد أصبحنا في عصر ذهبت فيه معجزات الانبياء وظهرت معجزات المخترعين

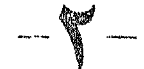
الباب الثاني

اسرار المرأة بين تطورات الامم

— ١ —

(المرأة فى عصري آدم ونوح)

وكانت المرأة في ذلك العهد تشارك الرجل في معيشته والرجل والمرأة في الامر سواء . ومكثا على ذلك نحو الالفى سنة وبعدها انتشر الفساد وبلغت الفاحشة بينهم مبلغا عظيما فارسل الله سبحانه وتعالى نوحا عليه السلام رسولا فنهاهم عماهم فيه فساموه العذاب وبذل قصاري جهده فى اصلاحهم فما ازدادوا الا ضلالا .. فلما عيل صبره ويئس منهم رفع أمره الى الله تعالى فأغرقهم بالطوفان ولم ينج من الغرق الى نوحا ومن معه في الفلك



(المرأة بعد الطوفان الي عهد لوط)

ولبث الرجل والمرأة محافظان على فطرتهما الاولي حتي

عهد لوط عليه السلام فكثر الفساد بينهم وتناسوا تلك الأخلاق الكريمة والعوائد الشريفة وركضوا في مضمار الهوي ومالوا الى مواصلة الذكور من الغلمان وصار لهم ديدنا وتغافلوا عن المرأة وازدادت كراهيتهم لها وتغزلوا في وصف الغلمان حتي صاروا على حد قول بعضهم

لعمرك انما اخترناك عمدا ... لانك لا تحيض ولا تبيض

ولو ملنا الى وصل الغواني ... لضاق بنسلنا البلد العريض

ولآخر

وصامتة الخلخال رن وشاحها ... فهذا قد استغني وذا يشتكي الفقرا

تريد سلوي عنك جهلا بحسنها ... وما كنت ارضى بعد ايماني الكفرا

وحق عذار يزدرى بعقاصها ... لما خدعتني عنك غانية عذرا

ولغيره

يافريد الجمال حبك ديني ... واختيارى على جميع المذاهب

قد كرهت النسا لاجلك حتي ... زعم الناس انني اليوم راهب

وقاست المرأة من العذاب اشكالا ومن الهوان الوانا. وتلاعبوا بها تلاعبا اداهم الى ظلمها والاجحاف بحقوقها. وعبدوا

الاصنام من دون الله تعالى ـ فلما ازداد طغيانهم أرسل الله لهم لوطاعليه السلام فنهاهم عن ذلك فصموا آذانهم ونبذوا نصائحه وازدروا برسالته فدعاربه عليهم فدمر الله قراهم وامطر عليهم حجارة من سجيل واهلكهم الا لوط وذريته

— ٣ —

(المرأة فيما بعد عصر لوط الى قبيل الاسلام)

ولكن الرجل بعد ذلك مازال يعامل المرأة بالقسوه والاحتقار زاعما أنها أصل الشرور ومنبع الفساد . ومذ توسم فيها الضعف والاحيال والرياء تيقن أن هذه الصفات من طبائعها الخلقية . ورسخ هذا الاعتقاد بمخيلته وانتقل من جيل الى جيل حتي صارت المرأة بين يدي الرجل محتقرة الى قبيل الاسلام

ومن غريب أمر الرجل معها في ذلك العهد انه كان يحفر لابنته حفرة عميقة ويلقيها حية ويهيل عليها التراب الى ان تموت ـ وذلك عندما تتجاوز السابعة من عمرها (ومنهم) من

يلقيها من مرتفعات عاليات أو يغرقها في الماء ـ (ومنهم) من يذبحها بيده وما ذاك الا تحاشيا من العار الذي يلتصق به منها ـ وكانت هذه العادة منتشرة ببلاد العرب وخصوصا في عرب قريش وقبائل كنده ـ واستمر كره الرجل للمرأة يتزايد حتي ادعى انها غير كفءله ولا مستحقة لمشاركته الحياة وصارت في يده آلة صماء يديرها كيف شاء ولا تناقشه الحساب ـ وقد بلغ من كره الرجل للمرأة أنه عند ما يأتيها المخاض يتواري ويختفي عن العيون مؤملا أن يكون المولود ذكراً ـ واذا بلغوه بأنثى ظل واجما وقام معبسا وجهه — الى أن ظهر (زيد ابن عمر النصراني فعنف العرب على اتيانهم هذا العمل وزجرهم ونهاهم ومر بين القبائل يردعهم وينصحهم بالكف عن هذه العادة المذمومة واعقبه في الحث على هذا المشروع صعصعة بن ناجية الذى استهجن العرب على هذه الهمجية واخذ يحذرهم ـ وما اكتفى بذلك حتي صار يشترى كل فتاة من ابيها اذ يكون شارعاً في وأدها حتي نجى من القتل مئات المئات من البنات وظهر بعد ذلك بعض عقلاء القوم فالتفتوا الي المرأة

بعين الرعاية فراقت فى عين الرجل . وحسن ظنه بها فصارت ذات شأن رفيع . ومقام عظيم . حتي ان بعض الممالك العربية بالحجاز كان لا يتولى الحكم فيها غير النساء (كبلقيس) صاحبة اليمن والزباء (زينوبيا) صاحبة تدمر وكثير من امثالهن

— ٤ —

(المرأة فى أوائل الاسلام)

وظهر صاحب الشريعة السمحاء صلى الله عليه وسلم فحرم عادات الجاهلية واعتبرها من قبيل الظلم والاعتساف

(قال) صلى الله عليه وسلم (بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وما كانت اخلاق العرب ناقصة الا فى وأد البنات.. ونزلت بذلك ايات السور فى القرآن الشريف ـ قال الله تعالي (واذا المؤودة سئلت بأى ذنب قتلت) واشتهر من النساء جماعة بالكهانة والسياسة . والحرب . والادب . والشعر منهن قبيل الاسلام وفى أوائله عدة نساء على أثر ما حصل من النهضة فى النفوس والعقول يومئذ كليلى بنت لكيز التي أسرت في

حرب العرب مع الفرس ورام كبيرهم ان ينال منها مأربا فامتنعت أشد امتناع فعرض عليها جميع المشتهيات فلم يزدها ذلك الا اصرارا على الامتناع فنكل بها تنكيلا شديدا وأرهبها بجميع العقوبات . فأبت وخيرته بين ان يقتلها أو يعيدها الى أهلها – فلما يئس منها أسكنها أسكنها في قصر فاخر وا كتفى ان يري قامتها الميساء وهي بملابسها وفي أثناء ذلك كتبت الى أخيها البراق تحث العرب وأهلها على تخليصها . وتنفي العار عنها وعنهم بقولها

ليت للبراق عينا فترى	ماقاسي من بلاء وعنا
يا كليبا وعقيلا اخوتي	ياجنيدا اسعدوني بالبكا
عذبت أختكم ياويلكم	بعذاب الفكر صبحا ومسا
غللوني قيدوني ضربوا	ملمس العفة مني بالعصا
يكذب الاعجم مايامسني	ومعي بعض حشاشات الحيا
قيدوني غللوني وافعلوا	كل ماشئتم جميعا من بلا
فأنا كارهة يكفيكم	ويقين الموت شيء يرتجى
يابني كهلان يا أهل العلا	اتدلون على الاعجما

يا أياد خسرت أيديكم خالط المنظر من يرددعما
فاصطباراً وعزاءاً حسنا كل نص بعد ضر يرتجى
أصبحت ليلى يغلل كفها مثل تغليل الملوك العظما
قل لعدنان هديتم شمروا لبني مبغوض تشمير الوفا
واعقدوا الرايات في أقطارها واشهروا البيض وسيروا الي ضحى
يا بني تغلب سيروا وانصروا وذروا الغفلة عنكم والكرى
احذروا العار على أعقابكم وعليكم مابقيتم في الدنى

وبسبب هذه القصيدة وقعت حرب ضروس بين العرب والعجم أكلت الاموال وذهبت بالارواح واستمرت أربعين سنة — وانتهت بقتل ملك الفرس وتخليص ليلى منه — وكانت عنده معززة مكرمة وقد أغدق عليها وأبل كرمه . وأغرقها في بحار جوده وعاملها معاملة قلما يعاملها ملك لاهل بيته

لم يمح ذلك آية ظهر ليلى بنت لكيز أو بغير ما بنفسها من عوامل الشرف — ولم تكن هذه المعاملة الحسنة داعية اغترارها لتهبط من سماء مجدها وعفتها وشهامتها العربية

بل تمسكت بشرفها وصانت عرضها عالمة أن الفتاة التي تفقد
عفتها تفقد كل شيء .. وممن اشتهرن بالرأى والحزم خديجه
بنت خويلد بن اسد بن عبدالله بن قصي بن كلاب تزوجها
عتيق بن عائد المخزومى فمات عنها ايضا . وخلف لها ثروة
وافرة وكل فرد من قومها يتمني أن يتزوج بها فلم يقدروا —
ولما وجدت النبي صلي الله عليه وسلم أهلا للزواج بها عرضت
نفسها عليه فأتى مع أعمامه الى أبيها خويلد فخطبها منه ثم تزوجها
وكان عمره خمس وعشرين سنة . وكان عمرها أربعين سنة
وهي أول امرأة تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في أول
أمره بل هي أول انسان أسلم ولم يسلم قبلها أحد لا ذكر ولا
انثى . وكانت في الجاهلية تسمى الطاهرة — وكنيت بام هند
وكانت امرأة حاذقة شريفة من أواسط نساء قريش نسبا .
واكثرهن مالا وشرفا — وبقيت مع النبي صلى الله عليه وسلم
أربع وعشرين سنة ولم يتزوج عليها وتوفيت قبل الهجرة
بثلاث سنين ودفنت بالحجون وعمرها خمس وستون سنة
وحزن عليها النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ... ومن شهيرات

النساء أيضا اسماء بنت ابي بكر . وكانت علي منتهى العفة والطلاقة يضرب بها المثل في جودة الرأى وحسن الحديث والقاء المقالات الشائقة ومنهن أيضا ـ سكينة بنت الحسين

وبعكس ماكانت المرأة قبل الاسلام منبوذه مهانة .وقد بلغت بها الحطة ان كانوا يعدمونها وأداً لا لذنب ولا جريمة الا لانها انثى

أصبحت المرأة بعد ان بدأ الاسلام يرفع لواءه . وتم ظهور صاحب هذا الدين الحنيف . فاخذ صلى الله عليه وسلم ينشر مبادىء الشريعة السمحة المأخوذة من آيات القرآن الكريم التي كانت تحض على وجوب احترام المرأة . وان تشاطره الحياة

ومنذ ذلك اليوم أخذت المرأة ترتقي في حياتها الجديدة حتى انه بعد ذكر ماتقدم من اخبار شهيرات النساء ـ ظهرت السيدة عائشة رضي الله عنها تخوض غمار الحروب بنفسها . وتقود جيشا جرارا من عظماء العرب . وسادت قريش . ووقفت موقفها المشهور في وقعتي الجمل وصفين . وكانت تخطب في

هذا الجيش وتحضه على مداومة الحرب ببلاغة متناهية ليس
هنا مكانها . وكان لها مجالس مشهورة يتسامر فيها اكابر القوم
والعلماء يتلقون عنها من حكم الدين وأسراره ماجعلهم أئمة
مرشدين .ودعائم قوية شيد الدين على اساسهم

. وقد جعل الإسلام للمرأة شأنا عظيما أصبحت بفضله
ذات مقام رفيع .وحلت فى قلب الرجل مكانا قصيا . ..واشتهر
فى ذلك العهد عدد عظيم من النساء البارعات المشهور لهم بالفضل
والتقوى حتي صار يضرب بهن المثل ومنهن ايضا سكينة بنت
الحسين وكانت عفيفة برزة المحاسن تجالس الاجلة من قريش
وتجتمع اليها الشعراء وتأذن للناس اذنا عاما حتي تغص الدار
بهم فتأمر لهم بالاطعمة ثم تسأل الشعراء وتنتقد اقوالهم .
وتجيزهم . ومنهن . الخنساء . وهى تماضر بنت عمرو ابن
الحرث بن الشريد . والخنساء لقب غلب عليها ومعناه الظبية
وكانت من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم . . وتعد من
الطبقة الثانية من الشعراء واكثر شعرها فى أخويها معاوية
وصخر .وحضرت الاسلام وتوفيت فى السنة الرابعة والعشرين

من الهجرة . وكثير من مثل هؤلاء كليلى الاخيلية وليلى العامرية وأمثالهن ـ وكانت المرأة فى اوائل الاسلام تجالس الرجل فى الاندية وتخاطبهم وتذاكرهم . وكانوا لايرون في ذلك منكرا الا اذا آنسوا زيبة ففهناك يحتاطون لانفسهم ويحفظون كرامتهم ولوباراقة الدماء وأزهاق الارواح ـ ومكثت المرأة على سمو مداركها . وعزة نفسها تأتي بالاعمال العظيمة وزاد توسعها في طلب العلم ومجال الادب فنبغت نبوغاهائلا وازدادت نباهة وفهما واظهرت من دلائل الحكم وجودة الرأي ما أعجز كبار الرجال . وازداد توسعها في الشعر والأدب فى عصر الخلفاء الراشدين الذى ارتقت فيه المرأة أوج مجدها

— ٥ —

(المرأة في عصري بني أمية وبني العباس)

ولماأفضت الخلافة الى بني أمية في أواسط القرن الاول للهجرة أصيبت المرأة بصدمة عنيفة اذ تى بعض هؤلاء الخلفاء بالجواري والغلمان ومالوا الي الفسق والفجور وتشبه بهم الامراء فى دورهم

والاغنياء فى قصورهم . ومالوا بعد ذلك الى المداعبات الرقيقة . والحـلاعة المستملحة

ولما اتسعت فتوحات المسلمين في ذلك العصر واتسعت تجارة الرقيق كما هى العادة التي توجبها حالة الحروب فى كل زمان من السبايا والغنائم وناهيك بعصر بني العباس الذى ازداد فيه الترف . فكانت محاظى الامراء لاتقل للواحـد منهم عن خمسـين محظية . وكثرت الفنون الجميلة كالموسيقى والغنـاء والشعر . فأخذت المرأة من كل ذلك بقسط وافر حتي ان علاية أخت أمير المؤمنين هارون الرشـيد . تعلمت سبعين صوتا من غريب الصناعة

ومر هذا العصر بحظوظه فكنت ترى فيه المتفوقات في الادب ينظمن الشعر برقة غريبة تأخذ بمجامع القلوب ...

حتي اشتهر من النساء جماعة في فن الغناء والعزف على آلات الطرب . مثل القيثارة والعود وغير ذلك مما فاضت بذكره كتب التاريخ في ذلك العهد . وهاهو كتاب الاغانى لأبي الفرج الاصفهاني أعدل شاهد على ذلك

— ٦ —

المرأة فى العصور الاسلامية الوسطى

وما لبث الحال أن تغير. فاندثرت حالة النساء جميعا. وظهر بعض كتاب تلك العصور يندون على المرأة فأوجدوا فيها القصص والحكايات . وحذروا الرجال منها . ورموها بكل شائنة وخطلوا فى عرضها . ودعوها بالمارقة والخائنة . ونسبوا كل صفات السوء اليها . حتي أن قصة الف ليله وليله . كانت أول وأعز يندد خصال المرأة . وتحض الناس علي الابتعاد منها ومن موبقاتها وفي تلك الدهور العصيبة صارت المرأة محتقرة مهانة وجارت عليها الطبيعة ايضا فأبعدها الرجل عن معاهد العلم . ورماها فى عقر داره . وعاملها معاملة البهيمة . تساوت فى ذلك المرأة المسلمة . وغير المسلمة من نساء الشرق عامة . والعالم الاسلامى خاصة

— ٧ —

المرأة فيما بعد ذلك

وهبت بعد ذلك ريح النشوء والارتقاء اذ فكر عظماء ذلك العصر بوجوب تعليم المرأة علي أثر ماقامت به الاميرة (شجرة الدر) من الاعمال الخالدة في مصر . ونهضت باعباء الملك واخذت ترسل الجيوش لمحاربة الصليبيين واستمرت المرأة تتدرج في رقيها ثم آل أمرها الي الانحطاط مرة أخري اذ اخذ الناس يتخبطون في بيداء الجهل على أثر ما اقام من المظالم التي شملت الناس في كل مكان واخذ امراء الشرق يسرفون في استعباد العباد . والاستبداد بالناس واخذ القوى ببطش الفقير . وناهيك بتاريخ هذا العهد المظلم

— ٨ —

المرأة في القرن التاسع عشر

ومن الغرائب المدهشة ان الفكرة السائدة بين الشرقيين

ان متبع الحضارة والرقي هى المدنية الغربية مع ان ذلك غلط جسيم . وخطأ محض .. ولا يستنكر بعد ذلك ان الامبراطور (نابليون بونابرت) عاهل فرنسا العظيم حين قدم الى مصر في حملته المعروفة . استولى على جميع الكتب الدينية والتاريخية والتشريعية واصدر اوامره الى العلماء والفلاسفة الذين رافقوا جيشه فى تلك الغزوة . ان يطالعوا هذه الكتب بامعان ودقة وكان يعهد ذلك بنفسه حتي لا تفوته خافية من أسرارها

ثم وضع بعد ان تشبع بعلوم الديانة الاسلامية السمحة (قانونه الافرنسي) بعد ان استخرجه من طيات الشريعة . وطبقا لنصوصها ومبادئها . وقد قال عقب ذلك

ان نخرى باحدى واربعين غزوة غزوتها ليس بالشيء المذكور ازاء النعمة الكبرى التي اوليتها فرنسا بوضعى لها هذا القانون المحكم

ومما تقدم يتضح لكل ذي عينين ان حضارة الغربيين ومدنيتهم واطلاقهم حرية النساء وتعليمها وتهذيبها — ومن كل ذلك ظهرت لهم الاختراعات الجديدة والاكتشافات ، صارت

المرأة شريكة الرجل في كل اعماله . بل صارت تباري الرجال وتزاحمهم فى أعمالهم الشاقة مما يدهش له كل شرقى

مع انهم لو فهموا سر تقدم الغرب على الشرق لعرفوا انها فى الحقيقة مأخوذة من تعاليم الدين الحنيف . وقد أخذوا بهذه التعاليم واقتدوا بها . وعرفوا كيف يتمسكون بدقيق احكامها ـ ان الاسلام هو كل شيء وان اوربا ما نجحت الا بسر تعاليمه . وان الشرق ما انحط الا باهمالها واعراضه عنها

— ٩ —

المرأة فى القرن العشرين

وقام منذ ربع قرن جماعة من أقباط مصر . وعقلاء الامة فاخذوا ينادون بوجوب تعليم المرأة . وكان الفضل في ذلك لجماعة الاقباط ـ فاخذت المرأة حظا وافرا من العلم ـ وبالتدريج او تبعا للاصلاح العام اخذت الغيرة تدب في نفوس الشرق عامة . وأخذوا فى تعليم المرأة ففتحوا لها المدارس وها هي

في عهد قريب قد صارت تضارع اختها الغربية وعما قليل سنرى من نبوغ المرأة ما يجعلنا نفتخر بها طول الحياة

عرفنا المرأة المصرية وهي تزاول العلم قد فاقت حد التصور وصارت ذات مقام كبير ومركز خطير ـ وها هي قد برزت فى ميدان العمل واخذت تزاول بعض اعمال الرجال حيا الله فتاة العصر وحيا في شخصها الشريف شبابنا الناهض رجال المستقبل

فى احضان الاسى

أسرار المداعبة

اذا ضممت بين ذراعيك غادة حسناء المتجرد عذبة المبسم ورأيت لذتك تدنمك لوصلها . وشهوتك تلقيك بين احضانها وعرفت بمكرها كيف تلين قلبك الصخري وكيف تلعب بعواطفك . وسيول نفسك . وتستغويك بآيات سحرها . فاياك ان تقسم لها يمين الحب الخالد والهوي العذرى الابدي احذر ان تمادي فى الغرام فيدلهك الوجد وتلعب بمخيلتك عواطف الهيام . فتخلط الهزل بالجد . والخمرة بالنشوة . . .

اني لا اثنيك عن غاياتك . ولا أستهجن لك عملا . ولكنني انصحك ان تمتع نفسك ببنات حواء . وتنتعش معهن في هواك . . . خذ من الحب قدر ماتأخذ الملح للطعام . وخذ من الخمر ان كان ولا بد ما يجعلك منتعشا . واحذر أن تكون مدمنا أو تتعاطي من المشروب مايجعلك مترنحا . . . احذر

ان تكون في الحب مدنفا . وانظر قبل ذلك الي مستقبلك ...
هكذا يفعل العاقل

العواطف : وميول النفس . والتحول . والهجر . والبعد والقرب . والصد . والاعراض . والحب والمداعبة وكل مايدخل في دائرة المزاح اللطيف من شأن المحبين . . فان كانت حبيبتك التي توسمت فيها الامانة وعاشرتها باخلاص ومودة . صادقة في هواك . مطيعة لامرك . لاتعرف سواك . فتعشقها لصدق عهدها لك . ودم على حبها . واغتبط بهواها . وان رأيتها لعوبا تياهة بخفارها في لعبها . وموه عليها في تيهها

اما اذا كنت جاهلا بمجون العشاق وخلاعتهن فهذاك يمنع ان تأخذ حذرك منها . لئلا تجرح قلبك . وأنت لاتفهم أسرار النساء . ولا تدري باطوارهن وشجونهن

* * *

اما اذا كنت كذلك فاعلم ان النساء للرجال متعة وفيهن للمرء سوانح . ولهم فرص . فالق بنفسك في غمار العالم . واقذف بها دون خشية في لجة وعواصف واتخذ لك اذا كانت

امزيا وتخشي عواقب الزواج . حبائب : وعشيقات . وكن ثابتا ومتحولا . ووفيا وغادرا . وحزينا ومبتهجا . وخادعا ومحترما . لانك لم تجد أحسن من أيام شبابك . وهي ربيع الحياة وموسم العمر اللذيذ

إنما يجب على العاقل أن لا يعتمد على المرأة في أمر من أموره بل يجعلها لمسرته وانبساطه . ولا يلتمس من هواها الا لذته فقط . مهما أخلصت له الحب وشاطرته المودة والغرام . ولا يمنعه ذلك من القيام بفرائضها والسعي في راحتها وهنائها . مادامت محظية عنده

(والفواجر) نسوة يخرجن مختمرات . ويتغامزون مبتهجات . ويخطرن ماشيات . ويبكين مفتريات . ويضحكن ساخرات . وما الحب لديهن الا أن يذللن مزاحما . ويخدعن زوجا . وينبذن عاشقا . ويهجرن حبيبا . ويجعلن الحب أمرا يتلهين به كما يتلهى الطفل بألعوبة

هذه طربة من أشجان الفاجرات . ونزعة شهوات العاهرات ولو علمت حقيقتهن لرأيت أنهن درجة واحدة من

ذلك السلم الذي أفسده النقص الانساني . فان كان عهدك بخليلتك منهن ثم بدالك أنها تخدعك . وتغريك فاذكر أنها كانت متاعا لرجل قبلك . وستكون من بعدك في حوزة رجال آخرين

* * *

أني أعجب من الرجل العاقل كيف يرمي بنفسه في أحضان الاسى . ويتطلب الكمال في خليلته وهي امرأة لاعهد لها ولا ميثاق

الفرق بين الرجل والمرأة

وبين الرجل والمرأة . بون شاسع وفرق عظيم . وذهبت الفلاسفة فى هذا الموضوع الي قسمين متناقضين فأحدهما أخذ بناصرها — وقال — ماهي بشر ان هي الا ملك كريم . . وأعقبه آخر فقال — ماخلقت المرأة فى هذا القالب النحيف . واستأثرت القلوب بجمالها الرائع . ورقتها الخلابة الالتظاهر للعالم انها ليست من مخلوقات هذا الوجود (وقال آخر) المرأة

ألطف هدية منحها الله للرجل

(والقسم الثانى) تحامل عليها . وعنف الآخذ بناصرها وأهبطها الي أسفل حضيض البهيمة مدعيا أنها متاع خلقها الله للرجل وليست بشرا سويا . وكلا الفريقين أسهب . وأوجدوا مؤلفات كثيرة في مدح المرأة وذمها . . . حتي ذهب بعضهم الي قوله — أن المرأة أنهم من الرجل . وأشيق . وأكسل وأبخل واكثر عجبا . وكبرا . وحسدا . وأشد حنقا وحقدا . . ونصت الشريعة الاسلامية السمحة . على أن المرأة دون الرجل وأوجبت شهادتها بنصف شهادة كما جعلت الرجل في الميراث قدرها مرتين

وقد أجمع أبقراط وأرسطو والفلاسفة المتقدمين على أن المرأة أحط من الرجل . ومن المقرر الواضح أنها أقل ارتكابا للجرائم منه . والذي يمنعها من ذلك خجلها وحياؤها وحالها من الرضوخ وعوائدها التي تحجبها . وضعف جسدها . (وقال بعضهم) المرأة أحيل من الرجل . وأخدع منه لانها دونه جسما وقوة . ومن دهائها أنها اذا استقوت الرجل

استضعفته بيكائها . وان استضعفته قتلته بكبريائها ...

وقد اتفقت جميع الشرائع على أن تعامل المرأة معاملة القاصر المحتاج الى وصي . وسبب ذلك مافيها من الخفة والطيش .. ووصف علماء الاخلاق طباع المرأة بقولهم المرأة لا هية متقلبة مفرطة لاتثبت على عهد . ولا تدوم على حب . واجمعوا على أنها مطبوعة على السفالة والخرافة والطيش والعناد . وهي مهزار مخواف ميالة الى الشر مطبوعة على حب الانتقام ودس الدسائس

(وقال آخر) أن الرجل والمرأة اذا تجاريا في مضمار الحياة والتفاضل فالسابق الرجل . لانه الاصل وهي ضلع منه

* * *

ونتيجة ماتقدم أن الرجل يمتاز عن المرأة بشدة التغذية والقوة العضلية والعقلية . ولما كان كذلك صار من طبيعة الحال سيدها وراعيها والحاكم المسيطر عليها نخضعت لارادته وأصبحت طوع أمره . وعلى حسب ميوله وأغراضه . ان

شاء عاشرها . وان شاء باعدها وهجرها

ملاحظات وفوارق

ومهما كانت المرأة كاملة الخلقة جميلة الوجه . بديعة الجسم . حسنة التقاطيع . وافرة العقل . شديدة الذكاء متعلمة راقية . سليمة البنية . خفيفة الروح . بارعة في كل شيء أو كانت على حد قول الشاعر

ليس منها مايقال لها　　كملت لو أن ذا كملا
كل جزء من محاسنها　　كائن من حسنها مثلا
لو تمنت فى براعتها　　لم تجد فى حسنها بدلا

فهى منحطة عن الرجل . وبينه وبينها فرق عظيم يتجلى من ظواهر حالتها الطبيعية . وحالة الامومة ، والحيض والنفاس مما أودعه الله فيها من النقص والضعف

ومهما كانت الفوارق الجسمانية والعقلية والعواطف المختلفة بين الرجل والمرأة فليس يترتب على ذلك أن نجعلها دون الرجل أو نصفها بالنقص ونرميها بالانحطاط لانها رغم ذلك

لها شخصية مستقلة

ومهما كان التفاوت عظيما بين الرجل والمرأة . في القيمة البارزة . والخفايا الباطنة . واختلاف المواهب . من حيث القوة والضعف . فهذا لا يمنع أبداً من أن يتساويا في المكانة

هذا ولا يخفى أن الطبيعة قد ميزتهما معاً وحددت لكل منهما مجالا يعمل فيه . . . وعلى الرغم من كل ذلك يجب أن يفهما أن توافقاً أساسياً يجمعهما معاً . ويربط كل منهما بالآخر . وبهذا الارتباط المتحد يؤلفان الانسانية بمادة التناسل . وبهذا الاعتبار العظيم يمكننا أن نقول . (لولا المرأة ما كان الرجل)

واذا كان من الواجب علي المرأة ارضاء الرجل والخضوع له . فانه من الواجب الذي لا نزاع فيه أن تكون هذه الطاعة صادرة عن رضي وقبول وتسامح . لا عن قهر واضطرار . واستعباد

وليس ضعف المرأة . واستسلامها للرجل حجة عليها فيستبدها ويعتقد أنها دونه . وانها ما خلقت الا للذته وقضاء مأربه الشهواني

ومن الخطأ الفاحش مصادرة المرأة فى واجباتهـا . أو قهرها فى حريتها بعـد ما اصبحت فى ممالك الغرب بأجمعها تضارع الرجل في العلم والادب . والصناعة والسياسة والاعمال الشاقه . وها نحن نراها عنوان هذه المدنية العظيمة . ولولا قيام المرأة بمؤازرة الرجل ما كانت نهضت مدنية الغرب ولا تنورت هـذه العقول الـكبيرة بالاختراعات المدهشة . التي كادت أن تكون من معجزات تغيب فى دقتها العقول

انظروها عن كثب وهى فى معترك هذه الحياة تجدوها تطالع الصـحف . والروايات والـكتب . وتقرأ وتـكتب وتتكلم بلغات أجنبية غـير لغتها القومية وتحضر التمثيل وتخطب فى الناس . وتحضر المآرب وتسمع كل ما يقال حولها.

وتلعب الالعاب الرياضـية . وتسافر بمفردها الي أى مكان تريد . سافرة الوجه متشبهة بسفور الرجل . وتعطى صورتها للجرائد فتنشرها على صفحاتها

هـذه حالة المرأة الغربية التي أقر لها عقلاء الغربيين وفلاسفتهم بالاشـتراك معهم . وأوجبوا على أنفسهم أن

يختلط النساء بالرجال ويشتركوا جميعا في تكوين الجماعات

ان أحضان النساء لاتحمل الاطفال فقط بل تحمل الممالك والشعوب

ومتي كان الرجل قائما بواجباته مع المرأة وجب عليها أيضا أن تقوم بواجباتها معه وأن تحافظ على شرفه وماله . وأن تكون معينه له في الحياة . وتخصه باخلاصها وعطفها وحسن معاملتها ومعاشرتها

ومن المقرر حتما وجوب التحام الرجل بالمرأة . لانه لايطيق الصبر عن لذته البهيمية . لايجاد النسل الذى عليه عمار الكون ودوامه . وأن الرجال في جميع الاحوال لايستطيعون أبداً القيام بمهام الحياة ما لم يعينهم النساء

ومتى أدركا معاً هذه لواجبات فعلى المرأة أن تدرك أيضا واجبات بيتها . وأن تبدل كل مجهود فى ترتيبه ونظامه . وتقوم بما يجب عليها من خدمة الرجل التى كلفتها بها الطبيعة . تلك لواجبات التى حتمتها عليها الشريعة . وهى من غير شك لاتتعدي وظيفتها فى الحياة الاجتماعية

وعلى كل فيجب علينا معشر الرجال ان نقوم بما يلزم من تربية النساء . لا لفائدتهن فى أعمال المنزل أو فى فائدتها لمضاجعة الرجل. بل هناك فائدة أعظم اذا عرفناها وجدنا لها أعظم أثر فى خدمة الوطن

ولقد أدركت أوروبا ذلك فأخذت فى تربية المرأة وتهذيبها اذا وجد العقلاء أن المدنية الفائقة . والمستقبل السعيد فى انماء شعور المرأة وفكرها وحريتها وارادتها

ومما قاله حكماء أوربا فى المرأة

(المرأة تحرك بجمالها وجاذبيتها عاطفة الحب) .

(المرأة فى الغالب تشعر بشعور الرجل وتنجذب لعواطفه)

(المرأة الطيبة هى التي تمهد فى قلب الرجل عاطفتي الرفق والحنان)

(الحب كل شيء مادام للمرأة وهى سعادة الرجل فى حياته)

(اذا انسدلت الستائر انطمس النور . ومتي احتجبت المرأة أظلم العالم)

* * *

ومما قالته مدام كمران لزوجها وكأن قدسافر سفرة بعيدة (عد ياحبيبي فقد طال غيابك عن مضجعك . ولهذا أصبح قلبي في نار يحترق . عد الى لاضمك الى صدرى طويلا ان هذا القلب الذى يهواك هو قلب زوجتك المشوق)

المرأة المبتذلة

أسرار البواطن

من رابع المستحيلات أن المرأة تحب رجلا واحدا ولا بد من أنها تميل مع الاهواء كيفما مالت عواطفها ... المرأة التي تصرح في كرامتها. وتسلم عرضها لرجل واحد من السهل عليها جدا أن تصرح ببذل هذا العرض لكثير من معارفها ... أنها تصرح باستمرار وافراط . لكل رجل يراودها عن نفسها . ومن أدراك بها فربما مع هذه العادة . وكثرة الاستمرار فى أتيان المنكر سرا تصبح جهرا وتصبح فاسدة الاخلاق وتكون ضمن النسوة الباغيات

هذا ولا يخفى على كل خبير باحوال النساء أن المرأة الشريفة الوقورة العرض المرفوعة الكرامة لاتخطو خطوتها الاولى لريبة الا مترددة .. وتستمر فى هذا التردد زمنا طويلا . وهنا تكون فى موقفها بين العوامل المتناقضة . فاذا

كانت شريفة النفس . وافرة العقل . أمكنها أن تقف وقفة سامية وتطرد من مخيلتها امال هذه اللذة الموهومة. وتتدرع بالعفاف الذي يقيها كل سوء في معترك حياتها فتعيش ولا أمل لها إلا أن تكون طاهرة الذيل . محترمة مصونة .

أما اذا كانت ساقطة الهمة . سافلة النفس تميل بها الاهواء فانها اذا خطت خطوتها الاولى وسقطت تلك السقطة الممقوتة . تطرح في تلك الهوة السحيقة . شرفها . وعفتها . وطهارتها . وتكون أبدا على سبيل الانحدار . وتصير بطبيعة الحال . ويقتضي الظروف امرأة ككل اللاتي سقطن قبلها . امرأة يدنسها الرجل . ويبتاع كرامتها وتصير امرأة منبوذة . مهانة محرومة من الشرف. الذي هو تاج مجد المرأة . وعنوان فخرها

* * *

تتلاعب المرأة غالبا بمن سلب كرامتها . وسطا على عرضها . ومزق حجات فضيلتها . وتنتقم منه شر انتقام ... تسلبه ماله .. تسلبه الهناء . تسلبه الراحة . وتلوث اسمه .

واذا كان متزوجا . توحى اليه خيانة زوجته . وعلى ارتكاب جرائم فظيعه ترتعد من هولها الا بد أن

وبعد كل ذلك تخو نه كلما ولاها ظهرة . ولو كان ذاهبا لقضاء مصلحة لها حبا فيها . وارضاء لخاطرها

* * *

تحب الفتاة الساقطة غاويا يغويها . تشاطره حبها الفاسد تشاركه فسقه وبخوره . وربما تكون هى الواعز الذي يلعب بعقله . . . أن الفتاة الساقطة تسقط غاويها . فى تلك البؤرة الموبؤة التي يزلق بها اليها فلا تعود لهما الذاكرة الا وهما فى أعماقها

تسقط المرأة الفاسدة الاخلاق بتأثير الحب الاحمق فى نفسها المتفززة . وعقلها الطائش فتعمي بصيرتها . ولا تجد من الارادة الضعيفة قوة تستطيع بها أن تتغلب على ثورة هذه النفس الجامحة الهائجة الامارة بالسوء . الهوجاء المضطربة من شدة الاهواء وعواصف الهموم . فتقع بين ذراعي الرجل واهنة القوي . فاقدة الادراك . ثم تسقط الى أسفل درجات الانحطاط

الرجل الفاسق

الرجل الفاسد اكثر الناس رغبة فى اغتنام الفرص بل هو من أشبق النفوس حبا بالنساء وهو دائما سريع التجول من حب الى حب . يرتمي في احضان فتاة الى ذراعي غيرها من ربات الحجال . متنقلا من حب امرأة الي غرام عذراء . يهيم بهذه ويعشق تلك

وما هو غير وقت قصير . حتي يترك من أغواها وسلبها الكرامة . بل سلبها اثمن ماتحرص عليه العفيفة المصونة ... يتركها حبا فى الجديد ورغبة في التنقل كأنه حدا علي قول الشاعر العربي

ولم أنس ضمي للحبيب على رضا
ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده
تنقل فلذات الهوى في التنقل

تشعر الفتاة المهجورة بألم الفراق ، وانقطاع الامل من تحقيق وعود عاشقها الذي اصطفته لنفسها . وهامت فيه عشقا. تتذكر حبها لهذا الخائن الذي نبذ هواها. واستخف بها وبحبها تستفزها عوامل الغضب . وتضطرب عواطفها الثائرة. ثم تخمد هذه الثورة فتشعر بحرج المركز الذي أصبحت فيه. وتيأس من اصلاح ما أفسده طيشها . وتسرعها في افتحام لجج اللذة التي كانت تتوق لها وتتوهمها مورداً عذبا. فاذا هي كالسراب سعت في طلبه ومانالها منه غير تعب الجسم . وألم القلب. تندم أشد الندم لانها ماحصنت نفسها ولا صانت عرضها . وتندم وخليق بها أن تنتحر .. تندم لانها شعرت أنها كانت في تلك الظروف أعظم ضعفا منها قبل السقطة الاولي . فتطلب العزاء بين زراعي عاشق جديد يجدد الوعود . ويكثر من العهود . وربما يجفف بشفتية دموعها السخينة . .

الفتاة الحسناء

في ذات يوم مرت علينا فتاة حسناء . جملها الله باللطافة والبراعة . جملها بعينين سوداوتين لهما كحل تتمناه أبدع الغانيات حسنا . وأعظم الفاتنات جمالا . جملها الله بجسم يتسني كالقضيب . يعتدل بالضم . وينثني عند اللثم وفم اذا ابتسم سلب العقول . وفتن الالباب . فيه در منضود .. فتاة امتلأت صحه وعافيه واكتحلت فيها كل معاني الحسن . فاستقرها الصبا . وصباها الهوى ...

سرنا خلفها قدما بقدم . حتي وصلت الي بستان أنيق تسجع الطيور على باسقات أشجاره ـ وتغرد حول أفياء أنهاره . وهنالك كان فى انتظارها فتي يضاهيها سنا وحسنا فلما رآها هب لها كالمأخوذ وطوق خصرها بذراعيه وأسند صدرها الي قلبه . ورأسها الى كتفيه وقبل ثغرها قبلة فاترة ضعيفة كهمس المحتضر الا أنها حارة محرقة

تؤثر فى القلوب . لا في الخدود . فضمها اليه فالتصقت به واستسلمت له تطفى نار شوقها في صدره .

فضمها اليه بدوره وأخذا يسردان لبعضهما عبارات الحب . بألذ ماقاله العشاق

قالت وهى تشعر بالحب يكاد أن يثب من نواحى ضلوعها . أحبك حبا لا يمكن أن يكون لسكان الخلود . أحبك حبا أرى الحياة بدونه فناء . والسعاده بغيره شقاء

وهنا استسلم لها واستسلمت له — وباتا فى شغل عن العالم كله

اسرار الباغيات

الباغية هى التي تبيع جمالها لطلابة وتتقلب بين أذرع غواة تجعلهم من عشاقها وهؤلاء العشاق يمكننا أن نقول عنهم. أنهم غواة نساء أومفسدي أخلاق

وقدتكثر الملاهى عادة . وتزيدهذه الموبقات في المدن الكبيرة المتناهية في الجمال . الحافلة بالملذات والملاهى وعاشرت طبقات عالية من أمراء القوم -الباغية- هي زلقت كثيرها من بنات الهوي وعرفت الهناء الوقتي . والبؤس الطويل اللذين تعرفهما كل متهتكة تعيش في التفريط بعفافها وسكنت في القصور وعاشرت الاشراف ولجأت الي أقذر غرف الفنادق الحقيرة - وأمضت بعض لياليها مع عابري السبيل من أوباش الناس ورعاعهم - وكذلك قضت ليال كثيرة بدون طعام . وبدون مأوى شاردة العقل ذاهلة اللب وفى تلك الحالة تكون عرضة للآلام النفسية الكثيرة - وتمر عليها

أيام البؤس وتزيد الرزيلة رسوخا في نفسها

ولقد تعلمت الحسناء المتبذلة من تكرار الحوادث المتشابهة ان المرأة الجميلة فى نظر الزانى متعة وقتية في نظر الزانى يقضي منها وطره فى أحوال مخصوصة تدفعه اليها لذة الشبق فى اتيانه المنكر . ومتي شبعت منها نفسه ابتعد عنها وهجرها كما يبتعد السليم من الاجرب . وينتقل بعد ذلك فى مواخير الفجور يتطلب اللذة حيثما كانت وكيفما تكون

وهكذا شأن الزانى . لا ينفك فى طلب الشهوة وغشيان المرأة كما يتطلب الصياد فريسته

ومن العادة المتبعة فى كل زمان ومكان ان الزاني لا يعود لمن زني بها مرة أو مراراً الا حين يكرهه على ذلك التفرز البهيمى

ولقد قال حكيم يوصي ابنه ـ يابني احذر معاشرة النساء فكم أهلكن من الرجال قبلك واياك والزنا فان الناس يكرهون الرجل الزاني

اسرار النساء

أخلاق المومس

وقد دلت التجارب . على أن لا نطاق عفـة تفيد . ولا تربية تقوى على صد تيـار القوة الشهوانيـة الغرزية في بني الانسـان ولا على رد جماحها عنـد الثوران مهما كان عقـل المرأة وافرا وبلغت أقصي درجات العلم والتهذيب .لان كثرة علومها . وسمو مداركها . تصل بها حد التطلف والتحـايل حتي تبلغ أربها بصورة لاتنكر عليها

ومهما كان الرجل عاقلا ورعاً فلا بد من وقوعه تحت سلطة هذه القوة الهائلة

والفواجر نسـوة ، يخرجن مختمرات . ويتغامزن مبتهجات ويبكن مفتريات . ويضحكن ساخرات. وما الحب لديهن الا أن يذن مزاحما . ويخدعن زوجا . وينبذن عاشقا

ويهجرن حبيباً : ويجعلن الحب أمراً يتلهين به كما يتلهى الطفل بالعوبة

هذه طربة من أشجان الفاجرات . ونزعة شهوات الماهرات ولو علمت حقيقتهن لرأيت أنهن درجة واحدة من ذلك السلم الذي أفسدته المدنية الحديثه

***

فان كان عهدك بخليلتك منهن ثم بدالك أنها تخدعك وتغريك فاذكر أنها كانت متاعا لرجل قبلك وستكون من بعدك فى حوزة رجال آخرين

انى أعجب من الرجل العاقل كيف يتطلب الكمال فى خليلة فاحشة وهى امرأة ساقطة لاعهد لها ولا وفاء

***

أن المومس مهما تابت لاتصلح أبدا - وهي وباء على أبناء الاسر الشريفة . وما بالك بامرأة عاشت بين أحضان عشاقها . واتت من ضروب الخلاعة ماجعلها تسخط على المجتمع الانسانى

. تفقد كل فتاة بالمعاشرة السيئة ما كان لها من الخصال العالية والسجايا الشريفة . والاخلاق الكريمة . بتأثير الوسط المرذول والبيئة الخبيثة التي تعيش بينها . . انها تكتسب من الوسط الخبيث الذي تندمج بين أفراده الرذيلة . والوقاحة وسوء التربية . وقلة الحياء . وتقتبس من معاشرة رعاع الناس شتاتا من المعائب . وكثيرا من أخلاق الاشرار الذين وقعت فى أيديهم . وعاشرتهم الواحد بعد الآخر

هذا قليل من كثير اذا وصفنا عدوى هذه الاخلاق التي تؤثر على الفتيات الشريفات من معاشرة الباغيات السافلات وجدير بالهيئة الاجتماعية ان تمقت كل فتاة خليعة ساقطة . ويمتلىء قلبها بالحنق والرغبة فى قهرها وصدها حتي تعود الي الفضيلة

ولو رجعنا قليلا مع الزمن . وجدنا أن هذه الاخلاق المنحطة لا يمكن أن تعتدل وتنهج سبيل الشرف وهذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

اسرار المحاسن

ولما كان الجمال علة العشاق في هذه الحياة الدنيا تنورت الافكار الراجحة فجادت بما رق وراق . من بدائع التشبيهات . . . وتغالي العشاق في المبتدعات الغريبة فشبهوا الاعضاء بالكواكب والشموس . وتارة بالغصون والزهور وطوراً بالرماح والصفاح . . . وعادوا فشبهوها بالاشكال والحروف وآل بهم الوصف الي تشبيه محاسن الانسان باجزاء الحيوان . وعادوا فتلاعبوا بالفصاحة فانقادت لهم البلاغة وشمروا بعد كل مجهود بذلوه أن لطافة الهيكل الانساني ومحاسن هذه الاجزاء مع حسن التركيب وجمال التقاطيع غنيمة كبرى . فوصفوها أجمل وصف .

الطلعة

وصفوا الطلعة بالشمس . وحينا بالقمر . فقالوا ـ طلعة بهية كالشمس فى اشراقها ـ وعادوا فقالوا ذات طلعة زاهية كأنها فلقة قمر . وقالوا ـ طلعة سامية . تخجل منها الشمس .

ويتواري من محياها القمر . وقالوا ـ طلعة باهرة عليها من من المحاسن هاله . تفوق البدر حسنا . ولا تضاهيها الغزالة . وقالوا باهرة الهيئة . عظيمة الهيبة . وافرة الحشمة . رائعة المنظر . طاهرة المئزر . واضحة الشكل . حسنة الهندام . ممشوقة القوام . (وقالوا) في الغلام ـ مهيب الطلعة . وضاح المحيا باهر الشكل . ممشوق القد . مهفهف القوام . وافر الاحتشام .(وقال الشاعر)

لك طلعة لولا التبسم والرضا
والسخط قلت البدر ذو الاضواء
فرق وفرع منك بينهما جرى
أجلى فذا صبحى وذاك مسائى

أبو نواس

رأيتك في السواد فقلت بدراً
بدا في ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمساً
محت بشعاعها ضوء النجوم

وقال ابن منقذ

بدر ولكنه قريب ظبي ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا فما لاعطافه لا تميس

القامة و القد

وشبهوا القامة بالقضيب . والغصن المائس الرطيب ثم . ذكروها بالمران . ومثلوها بأعواد الزان . ثم وصفوها بالالف . وعادوا فقالوا — نحيفة الخصر مهفهفة القد تزدري بالرماح . واعتدال الصفاح . تميس بقوامها الرشيق . وقدها الرقيق . وشكلها الانيق . مديدة القامة . في غاية الاستقامة . لطيفة الهامة (وقال الشاعر)

روحى الفداء لجيرة بالمنحني
تركوا فؤادى فى تباريح
عرب اذا ما الصب نحوهم دنا
هزو القدود فأخجلوا سمر القنا

وتقلدوا عوض السيوف اللاعينا

آي الجمال على الدلال تدلهم

فيصاب من أهل الغرام أجلهم

كم حاربوني والفؤاد محلهم

وتبادروا للعاشقين فكلهم

طلب النجاة لنفسه الا أنا

لم أنس اذراق الطلا بالمجلس

ورنت الى الساقي عيون النرجس

ما بين أغصان الرياض الميس

لما بدا في حلة من سندس

قالت غصون البان ما أبقى لنا

كشف اللثام فقلت دعني أجتني ... من روض خديا نع الورد الجني

قد حار فكري في محياه السني ... شبهته بالبدر قال ظلمتني

ياعاشقي بالله ظلما بيننا

(ولابن قلاقس)

عقدوا الشعور معاقد التيجان
وتقلدوا بصوارم الاجفان

ومشوا وقد هز الشباب قدودهم
هز الكماة عوالى المران

وتوشحوا زرداً فقلت أراقم
خلعت ملابسها على الغدران

يامرسل الرمح الطويل سنانه
أمسك فليس اليوم يوم طعان

هاتيك شمس الراح يسطع ضوءها
من خلف سحب أبارق وقيان

وهلال شعبان يقول مصدقا
بيدي غصبت النون من رمضان

والورق في الاوراق قد هتف على
عذب الغصون باعذب الالحان

فكأن أوراق الغصون ستائر
وكأن أصوات الطيور أغاني

(ولبعضهم)

أن ماس فالغصن بالاراق مستتر
أو لاح فالبدر بالانواء محتجب
عذاره بسواد القلب منتقش
وخده بدم العشاق مختضب

(وقال آخر)

يقابل بدر التم منه بطلعة
هى البدر لكن حسنها منه أشهر
وفى خده ورد وفى الروض مثله
ولكن ماتحت النواضر أنضر

(وقال آخر)

نسبوه حسنا للهلال وحسنه
للبدر ينسب لاابليت ببينه
فاذا بدا فالى هلال أصله
وأذارنا فهو الغزال بعينه

الوجه

أما الوجه فشبهوه بالنور فى سناه . والبلور في صفاه فقالوا — وجه مشرق الانوار . تحج الى كعبته الأبصار . محل باللالىء والدرر . يستمد من ضيائه الشمس والقمر — مرآته صقيله . ومعانى حسنة جميله يترقرق فيه ماء الصبا . ويخفى من لمعة بروق الظبا (وللصفي الحلى)

لها وجه به آيات حسن وليس لمقا هافى الحسن فسخ
وريحان العذار به حواش على نارها بالروح نسخو

(ولشهاب الدين بن حجله)

قل للهلال وغيم الافق يستره
حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد
ذكرت ثم على مافيك من عوج

(وقال بعض الاعراب) الحسن احمر قد تضرب فيه الصفره اطول المكث فى الكن . والتضمخ بالطيب (ومعني الحسن احمر) اى لايكتسب مافيه من الاحمرار عشقة أو

تعب يحمر منهماالوجه . (وقال) صلي الله عليه وسلم (أهلك الرجال الاحمران الخمر واللحم . وأهلك النساء أحامرة الذهب والزعفران)

(وقال بعضهم)أحسن زينةالنساءفي أجسادهن الخضاب

وقال الشاعر

واذا رأت عيناك طرفاأسوداً   فاعلم بان هناك موتا أحمرا

وأما احمرار الوجه واصفراره فلة أسباب منهامايعرض للانسان من الخجل . والخجل عرض من الفزع . يخفق له القلب . ويختبل الدم. فيظهر في الوجه الرقيق البشرة (وقالوا) ان سبب احمرارالوجه يكون عادةمن الفرح . والصحة . والنعمة

أما اصفرار الوجه فيتولد عادة من الرهبة في وقت الطمأنينة أو من روعة تحصل بغتة ويكون عادة من الفزع والبؤس . والغم .

وقد اختلفوا في أسبابه فقال أحدهم ان اصفرار الوجه ناتج من ثلاثة أمور وهي الروعة . والفزع والاضطراب

(وقال حكيم)سبب احمرار الوجه ناتج من حصول هيبةالمحبوب

فى قلب محبه فاذا رآه فجأة راعه ذلك وخفق له قلبه . وقد يكون فى الرجال من رهبة الحب وأما في النساء فمن الحياء (وقال حكيم) كل هذه الحالات التي يحمر منها الوجه أو يخفق لها القلب عوارض وجدانية . لا يعرف لها سبب

الشعر

وشبهوا الشعر بالليل الداهم . والظلام الفاحم . ثم مثلوا الغدائر بالحيات . وعادوا فوصفوها بالسلاسل والاصفاد . وما اكتفوا بذلك حتي جعلوا الضفائر اراقم . ولله در القائل

اتنكر بأس أحداق العذارى	أماتدرى بعربدة السكارى
وتفتنك العيون وماعهدنا	جريحا قلبه يهوى الشفارا
وتغرم فى القدود فهل طعين	هوى من قلبك الاسل الحرارا
وتمسي في الذوائب مستهاما	متي عشقت سلاسلها الاساري
علام عيوننا بالدمع غرقي	ومن وجناتهن تخوض ناراً
ونسأل من مراشفهن ريا	وبرد برودها يشفي الاوارا
تؤرقنا ذوائبها ولسنا	نري لدجى لياليها نهارا

(وقال آخر)

نشرت غدائر شعرها لتظلني
خوف العيون من الوشاة الرمق
فكأنه وكأنها وكأنني
صبحان باتا تحت ليل مطبق

ولعفيف الدين التلمساني

لما رأت عشاقها قد احدقوا — من حسنها بحدائق الاحداق
شغلت سواد عيونهم شعرها — وتوشحت ببياضهن الباقي

ولابو فراس بن حمدان

يامن يلوم على هواه جهالة — انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها — مسك تساقط فوق ورد احمر

الفرق

وشبهوا الفرق بالصبح السافر . والفجر الظاهر . وقال

الشاعر .

تو ارث عن الواشي بليل ذوائب
لها من محيا واضح تحته بدر
يغطي عليها شعرها بظلامه
وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

الجبين

ووصفوا الجبين بالهلال . وغرة البدر التمام ثم قالوا. انه ظاهر واضح . تميل اليه المهج والجوارح .وذكروه بالمصباح ثم مثلوه ببدر يتلألأ بنوره . وينبلج فى هالة ديجوره أو بنور ينعكس مصباحه . ويسطع فى ليل الطرة صباحه وقال الشاعر

أيا قمرا تبسم عن اقاح ويا غصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا صباح فى صباح فى صباح

وللسراج الوراق

ومحجوبة أم الدجى فغدائر عليها وأما الصبح فهو جبينها

عجيب لمسرى الطيف من كناسها
ومن حوله أسد الشرى وعرينها

الحواجب

وشبهوا الحواجب بالنون . ثم وصفوها بالقسي . فقالوا بحواجب تذيب المهج . وتجذب الارواح من قسيها بقبضة البلج . . كأنها هلال محني القوام . أو فخ نصب لصيد أهل الغرام . وقالوا . زجاء الحاجبين . منتظمة القوسين (قيل) إن رجلا من الاعراب قال لرجل من بني عذرة ما لاحدكم يموت عشقا في هوى امرأة يألفها . أوغادة يحبها . انما ذاك ضعف نفس . وخور عزيمة . ورقة طبع تجدونه فيكم يابني عذرة .

(فقال له العذري) ــ أما والله لو رأيتم الحواجب الزج . فوق النواظر الدعج . تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى . . . . .

(وقال خالد الكاتب)

غزاني الهوى في جيشه وجنوده
وهب على الجيش من كل جانب
بميسرة أجفانها أعين المهى
وميمنة تقضي بزج الحواجب

العيون

وشبهوا العيون بالحتوف. ثم ذكروها بالسيوف. ووصفوا رشقاتها بالسهام. ثم قالوا. إنها شفار. تؤدي الى البوار. ثم مثلوها بعيون المها والغزلان. وعادوا فذكروها بالصحاح المراض (فقالوا) انها ساهية لاهية. ناعسة قاتلة. ثم قالوا. حوراء الناظرين. وقالوا اعجاء العينين. ثم وصفوا رشقات تلك اللواحظ بالسحر الحلال. وعادوا فأتوا بالمتناقضات. فذكروها بالخمر. وتارة بالنرجس الي غير ذلك. (واما الحور) فقد اختلف فيه الناس. (قال ابو عبيدة) الحوراء الشديدة بياض العين في شدة سوادها (وقال يعقوب) الحور سعة العين

وكبر المقلة وكثرة البياض . صغرت العين ام كبرت (وقال ابو عمرو) الحوراء شديدة السواد وليس فيها بياض وقال الشاعر :

وحوراء المحاجر من معد كأن حديثها سحر البيان
اذا قامت لمشيتها تثنت كأن عظامها من خيزران

الارجاني

سيف جفنيك عازم الانتضاء مايرى قاتلا سوي الابرياء
ولهذا تضرمت وجنات لك أضحت مصب تلك الدماء

ولبعضهم

لمثلي من لواحظها سهام لها في القلب فتك أي فتك
اذا راحت تذلك به فؤاداً يموت المستهام بغير شك

ولآخر

لها بشر مثل الحرير ومنطق
رخيم الحواشي لا هراء ولانذر
وعينان قال الله كونا فكانتا
فعولان بالالباب ماتفعل الخمر

ولغيره

أقول لمقلتيه حين ناما
وسحر النوم في الاجفان ساري
تبارك من توفا كم بليل
ويعلم ماجرحتم بالنهار

ولبعضهم

ومهفهف الحاظه وعذاره
يتعاضدان على قتال الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس
كانت حمائل غمده من آس

ولابن الرقاع

وكأنما دون النساء أعارها
عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس تلاعبت
في جفنه سنة وليس بنائم

. ولابن المعتز

عليم بما تحت العيون من الهوي
سريع بكسر اللحظ والقلب جارع
فيجرح أحشائى بعين مريضة
كما لان متن السيف والحد قاطع

ولابن الرومى

عيني لعينك حين تبصر مقتل
لكن عينك سهم حتف مرسل
ومن العجائب أن معني واحدا
هو منك سهم وهو مني مقتل

ولبعضهم .

سيوف الحاظه المرضي سفكن دمي
ولم يطق دفعها حولي ولا حيلى
لولا السقام الذى فيها لما فتكت
وربما صحت الاجسام بالعلل

وللفرزق

ومقلة شادن أودت بنفسي   كأن السقم لى ولها لباس
يسل اللحظ منها مشرفيا   لقتلى ثم يغمده النعاس

ولامين الدين

ان كان قيد هواك اطلق ادمعى
فوكيل شوقى عاجز عن جيشه
أوكان منك الطرف أسهر ناظرى
فلكل شيء آفة من جنسه

وقال علاء الدين

أثخنت عينها الجراح ولا   اثم عليها لانها نعساء
زاد فى عشقها جنوني فقالا   ما بهذا فقلت بي سوداء

ولآخر

نظرت اليها فاستحلت بنظرتي
دمي ودمى غال فأرخصه الحب
وغاليت في حبي لها ورأت دمى
رخيصا فمن هذين داخلها العجب

الخدود

أما الخدود فأبدعوا في وصفها . وأطنبوا في تشبيههم لها فوصفوها بالماء والنار . ثم رجعوا فوصفوها بالجلنار ثم قالوا كالورد في احمراره . والتفاح في بهجة ألوانه . ثم وصفوها بالخمر والافاح . وقال الشاعر

وردية الخد بالوردي قد خطرت
تميس تيها وتثني القد اعجابا

لم يكف قامتها الهيفاء ماصنعت
حتي اكتست من دم العشاق أثوابا

ولبعضهم

ورد الخدود ونرجس اللحظات
وتصافح الشفتين في الخلوات

شيء أسر به وأعلم أنه وحياته أحلى من اللذات

وقال الصنوبرى

ذات خد يكاد يدميه وهم من مسير بالجد أو بالمزاح

في بياض وحمرة فكأن قد　　صيغ حسنا من ماء مزن وراح

الخال

وشبهوا نقطة الخال بالمسك الازفر أو قطعة من خالص العنبر . ثم تغالوا فوصفوها . بالآس والريحان . وقال الشاعر

كتب العذار وياله من كاتب　　سطرين في خديه بالريحان
وأحيرة القمرين منه اذا بدا　　واذا انثني واخجلة الاغصان

وللبهلول

لا غرو ان صار الغزال بطرفه　　ريم المها فله بذاك اشائر
في خده فخ لعطفة صدغه　　الخال حبته وقلبي الطائر

ولبعضهم

ومهفهف راقت نضارة وجهه　　والعين تنظر منه أحسن منظر
اصلي بنار الخد عنبر خاله　　فبدا العذار دخان ذاك العنبر

ولآخر

أمسي بداعبني بورد خدوده　　لما رآه يفيض من آماقي

يفتر عن در فابكي مثله | لله در الطرف من سراق

ولآخر

ومهفهف يحمي ورود رضابه | بصورام سلت من الاجفان
كتب العذار بليقة مسكية | في خده سطراً من الريحان

ابن النبيه

جنت بمنظره البديع عيوننا | فتسلسلت بمدامع الاجفان
واخضر فوق الحدآس عذاره | فعجبت للجنات فى النيران

تاج الدين اليمانى

لحظات لواحظ من رآي مقبلا | برموزها ورموزهن سلام
فغدرت نرجس مقلتيه لانه | يخشي العذار لانه نمام

الثغر

وتحت هذين الخدين ثغر مفلج الاسنان . وصفوه بالخاتم في تشبيههم وقالوا ـ كالرحيق المختوم . أو الدر المنظوم . والجوهر المكنون . ومثلوا الشفاه باصداف من عقيق . ورجعوا فذكروها بالمرجان الانيق

ووصفوا بريق الاسنان عند الابتسام . بوميض البرق
ولمع الحسام بدليل قول عنترة العبسي

ولقد ذكرتك والسيوف نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

أو كما قال بعضهم
أبرق لاح أم لمعت أسنه   أم ابتسم الحبيب أبان سنه

ولآخر .
ولا تحسبن الخال في الشفة التي
يتيه بها المحبوب نقصا ولا خجل
ولكنه ختم على ما بثغره
من الدر والياقوت والشهد والعسل

ولغيره .
يحكي جنا الاقحوان الغض مبسمها
في اللون والريح والتفليج والاشر

لو لم يكن اقحوانا ثغر مبسمها
ما كاد يزداد طيبا ساعة السحر

ولابن الرئيس

لئن كان من لؤلؤ ثغرها فان له صدفا من عقيق
وان كان من اقحوان النبات فان مشاربه من رحيق

ولابن قلاقس

جمعت نكهته في ثغره عبقا في نسق يسبي الحدق
وبدت خجلته في خده شفقا في فلق تحت غسق

الابيوردي

ياغزالا كأنما دبت النمـ ـل الى فيه حين أوعاه شهدا
ماسمعنا بالورد ينبت شوكا بل سمعنا بالشوك ينبت وردا

ولابن الوليد

أريقا من رضابك ام رحيقا رشفت فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن جهلت بان فى الاسماء ريقا

وللبهلول

حدثانى عن قامة وقضيب اشغلانى عن كل غصن وريق

وحسبي من حبيب فاني ذو اشتياق الى النقا والعقيق

ابن منجك

ومقرطق يغني النديم بوجهه عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها من مقلتيه ووجنتيه وريقه

الصفي الحلي

قيل ان العتيق قد يبطل السحـ ـر بتختيمه لسر حقيقي
وأرى مقلتيك تنفث سحرا وعلى فيك خاتم من عقيق

وابعضهم

أسيلة مجري الدمع هيفاء طفلة عروب كايماض الغمام ابتسامها
كان على فيها وما ذقت طعمه زجاجة خمر طاب فيها مدامها

وذكروا في الريق جملة أنواع فقالوا انه ضرب (الضرب نوع من الشهد) ثم عادوا فوصفوه بالخمر العتيق . والشهد الحقيق . والبرد الانيق . ثم قالوا انه سلسبيل . وقالوا انه مسك مختوم . وشهد مخزون . وقال الشاعر

ثلاث تجمعن فى ثغرها ملاح ادلتها واضحه

فان قيل ماهى قل لى اقل — هى الطعم واللون والرائحة

ولآخر

سفرت كما سفر الربيع الطلق عن — ورد يرقرقه الضحى مصقول

وتبسمت عن لؤلؤ فى رصفه — برد يرد حشاشة المتبول

الانف

والانف مشاوه بالحسام . تصدي لقتل أهل الغرام .
وقالوا انفي صغير . حلو في الوصف والتعبير . ثم ذكروا ان
الحلاوة في الانف . والجمال في اللسان .
واذا كانت العيون واسعة دل ذلك على كبر الانف .
ويختلف الجمال في الانف باختلاف شكله فكائن من انف
كبير يشوه خلقة الوجه ويذهب بمحاسنه وبالعكس انف كبير يكاد
من جماله ان يكون آية من آيات الجمال . ومن ادرك فر بما نري
الانف الصغير الحجم الا أنه غير مقبول وربما يشوه باقي أجزاء
الوجه ويذهب بمحاسنها — وبعكس ذلك أنف صغير على

أبدع مايكون من محاسن الجمال وعلى كل فجمال الانف يكون فيه جمال الوجه كله

الجيد والعنق

ووصفو الجيد باوصاف شتي فقالوا ذات جيد يزدري بجيد الغزالة . تطول فيه المقاله. وعنق كالجمار يسطع بياضه تحت الخمار — وعادوا فقالوا اذات عنق كأنه عامود من فضه .

وقال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا
تباهى بالعيون والنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضي
فكيف اذا نظرت الى الخصور

ولبعضهم

لها جيد أم الخشف ريعت فاقبلت
ووجه كقرن الشمس ريان مشرق

وعين كعين الظبي فيها ملاحة
هي السحر أو أدهى التباساً وأعلق

الصدور والنهود

وشبهوا الصدور بالمرمر . ثم وصفوا النهود بالرمان وقالوا أن النهدان كالركنان . وعادوا فوصفوهما بحقين من عاج . تحت أمراط الحرير والديباج .

وقال الشاعر

بصدرها كوكبا در كأنهما
ركنان لم يلمسا من كف مستلم
صانتهما بستور من غلائلها
فالناس في الحل والركنان في الحرم

وللتهامي

وطاعنه برمح من نهود
أسنة مثلها الحلم الصغار
زرعت بخدها روضا يلثمى
فقى وجناتها منه اخضرار
كأن . واقع التقبيل فيه
رماداً جامداً والخد نار
لعينك وخزة في كل قلب
أأشفار جفونك أم شفار

عذرتك اذ حجبت وانت بدر   له في كل أوقات سرار

ولبعضهم

صدور فوقهن حقاق عاج   ودر زانه حسن اتساق
يقول الناظرون اذا رأوه   أهذا الحلي من هذي الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدي   جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لا يعد لهن عيب   سوى منع المحب من العناق

ولآخر

نبيه حسن قد دعتنا لعشقها   فقلنا لها هل من دليل يصحح
فحلت عرا الازرار عن صدرها   سمعنا عقود الدر فيها تسبح

والمهلبي

أقاتلتي بفتور الجفون   ورمانتين على معصر
كحقين من لب كافورة   برأسيهما نقطتا عنبر

ولبعضهم

فوق خديك دليل   ان نهديك ثمار
ما اختفى الزمان الا   وتبدى الجلنار

ولآخر

ومن وراء سجوف الحي شمس ضحي
تجول في جنح ليل مظلم

مقدودة حفظت أيدي الشباب لها
حقان دون مجال العقد من عاج

ولغيره

أذاب لهيب الخد منها بناره ... لجينا فمنه صيغ منبسط الصدر
وذلك برأي العين اما بملبس ... فلين حرير والنهود من الدر

السواعد

وأعجبهم في السواعد ضخامة العضد . فقالوا ساعد مفعم وعضد مجدول . وقال الشاعر

حسروا الوجود بأذرع ومعاصم
وزنوا بنجل للعيون كوالم

حسروا الاكمة عن سواعد فضة
فكأنما انتضبت متون صوارم

البنان

وشبهوا البنان بأقلام من مرجان . ووصفوا احمرارها بالعناب فقالوا سبطة البنان . وشبهوا قلامة الظفر بالهلال الى غير ذلك من المبتدعات الغريبة — وقال يزيد بن معاوية

واسترجعت سألت عني فقيل لها
ما فيه من رمق دقت يداً بيد
واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت
ورداً وعضت على العناب بالبرد

الارداف والخصور

وأعجبوا برقة الخصر . ونحوله فقالوا ضعيفة الخصر . ونحيفته . ورشيقته — وقد اتفق العشاق فى آرائهم على أن الغليظة من النساء نوع مذموم لان الله سبحانه وتعالى جعل البهاء والهوج مع الطوال . والدها والدمامة مع القصار . وبعضهم يفضل الغلاظ ويزعم أن السمنة نصف الحسن وهى

تستر كل عيب في المرأة وتبدي محاسنها . وهـذا زعم باطل لان خـير الامور الوسط . . . ويجب أن تكون المرأة في قالبها النسائي لاغليظة باهظة . ولا رفيعة بائطة . ولا طويلة بائنة . ولا قصيرة شائنة وقال الشاعر

يا قلبه القاسى ورقة خصره   لم لا نقلت الي هنا من ههنا
لو ان رقة قلبه في خصره   ماكان جار على المحب ولا جني

وقال آخر

لها ردف تعلق فى ضفيف   وهذا الردف لى ولها ظلوم
فيقلقني اذا فكرت فيه   ويقعدها اذا همت تقوم

ابن نباتة

سألت النقا والبان يحكى لناظرى
روادف أو اعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمـل ما أنا حملهـا
وقال قضيب البـان ما أنا قدها

الاقدام

وهاموا بصغر الاقدام ورقة حجمها. فقالوا أقدام تخطف الخطا . وتمشي كمشي القطا

ولبعضهم

يمشين مشي قطا البطاح تأودا قب البطون رواجح الاكفال

فكأنهن اذا أردن زيارة يقلعن أرجلهن من أوحال

ولبعضهم

رخيمات المقال مدللات جواعل في الثرى قضبا جزالا

جمعن فخامة وخلوص جيد وقداً بعد ذلك واعتدالا

ولآخر

اذا مامشت شبرا علي الارض أرجفت

من البهر حتي ما تزيد على شبر

لها كفل يرتج منها اذا مشت

ومتن كغصن الباب منضم الخصر

حسن الحديث

اما جمال الصوت .وحسن الحديث . فامر لايحتاج الي شرح وهو والحق يقال يستهوي الافئدة . وربما يستغرق الانسان في المحادثة وقتا طويلا وهو ومن يتحدث معه من من جاذبية حساسة يدفعها جمال الصوت . وعذوبة اللفظ . وتنسيق المعاني . ومن أفعال العرب فى ذلك(الحديث طرف من القري)ومن أمثالهم أيضا (الحديث شجون)

ولعمر بن أبي ربيعة

قلما أفضنا في الهوى نستبينه　　وعادلناصعب الحديث زلولا

شكوت اليها الحب اظهر بعضه　　وأخفيت منه في الفؤاد غليلا

ولآخر

ظللنا فبتنا عند ام محمد

بيوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا

اذا صمتت عنا ضجرنا لصمتها

وان نطقت هاجت لالبابنا سحراً

نادرة

(حكى) أن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان جلس يوماً وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامرته (فقال) — أيكم يأتيني بحروف المعجم فى بدنه وله على ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة وقال — أنا لها ياأمير المؤمنين فقال هات

فقال — أنف . بطن . ترقوة . ثغر . جمجمة . حلق . خد . دماغ . ذراع . رقبة . زند . ساق . شعر . صدغ . ضلع . طحال . ظهر . عين . غببة . فم . قفا . كف . لسان . منخر . نغنغ . هامة . وجه . يد . . . فهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين

فقال بعض أصحاب عبد الملك — ياأمير المؤمنين — أنا أقولها فى جسم الانسان مرتين . فضحك عبد الملك وقال لسويد — أما سمعت ماقال ؟

فقال سويد — نعم . وأنا أقولها ثلاثا

فقال عبد الملك — لك ماتتمنى اذا قلتها

فقال — أنف . أسنان . اذن — بطن . بصر . بز — ترقوة . ثمرة . ثنية — ثغر . ثنايا . ثدي — جمجمة . جنب جبهة — حلق . حنك . حاجب — خد . خصر . خاصر — دبر . دماغ . دردر — ذكر . ذقن . ذراع — رقبة . رأس . ركبة — زند . زردمة . زب —

فضحك عبد الملك ومن معه

فقال سويد — ساق . سرة . سبابة — شفة . شعر . شارب — صدغ . صلعة . سرم — فضحك عبد الملك حتى بدت نواجذه

وقال سويد — ضلع . ضفيرة . ضرس — طحال . طرة . طرف — ظهر . ظفر . ظلم — عين . عنق . عاتق — غبغب . غلصمة . غنة — فك . فؤاد . فم — قلب . قدم . قفا كتف . كف . كعب — لسان . لحية لوح . — مرفق . منخر . منكب . منسرغ . ناب . نن — هامة . هيف . هيئة — وجه . وجنة . ورك — يمين يسار . يافوخ — … ثم نهض مسرعا وقبل الارض بين يدى عبد الملك — فقال

عبد الملك . والله مازيد عليها أعطوه ما تمني
ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ في احسانه

المحاسن المختلفة

لبعضهم

قبلتها فبكت وصدت نفرة تذري المدامع من كحيل ادعج
فكأن تسقط الدمع من أجفانها لما بدا في خدها المتفرج
برد تساقط فوق ورد احمر من نرجس فسقى رياض بنفسج

ولآخر

لها مبسم كثغر الاقاحي وحديث كالوشي وشي البرود
نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد
عندها الصبر عن لقاي وعندي زفرات يأكلن صبر الجليد

ولغيره

كيف السلامة لي ممن محاسنه
جاءت تقتلني بانواع من العدد

الطرف بالنبل والقد المرنح بالخطي
والسالف المصقول بالزرد

وللارجانى

شكوت الى الحبيبة سوء حظي ... وما قاسيت من ألم البعاد
فقالت ان حظك مثل عيني ... فقلت نعم ولكن في السواد

أسرار الزواج

(الزواج) معناه النكاح ـ والذي اتفق عليه الأئمة ان النكاح في اللغة حقيقة في الوطء مجاز في العقد . واما اصطلاحا فهو عقد يفيد حل استمتاع الزوج بالزوجة قصداً .

والزواج من حيث هو ارتباط زوجين ببعضهما . وهو نهاية مايسعى اليه الشاب حين يراهق . والشابة حين تبلغ الرشد . بل هو السبب الذى يربط القلبان برباط العهد الوثيق . ـ

(فضائل الزواج) ـ التوالد والتناسل . وبقاء الذكر بعد الموت بوجود ولد صالح . وكف النظر عن المحرمات

(آفات الزواج) ـ ومن آفاته ان يكون شاغلا عن الله عزوجل . وجاذبا الى طلب الدنيا بحيث يصبح الشاب مستغرقا زمانه في ملاعبة النساء . ومداعبة الغواني (قال) صلى الله عليه وسلم (النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن)

ولو علم الجنسان ماهى فائدة الزواج لما اختار كلاهما غير من يريحه ويحبه ـ ولو بحثنا في أحوال المتزوجين لم نجد منهم في هناء الا نفر قليل لعدم توافر الشروط بينهما . ولقد يظن طالب الزواج ان هذا أمر سهل المنال . وما درى انه باقترانه دخل في عمر جديد . وحياة جديدة محفوفة بالاكدار أو محاطة بالسرور ـ وليس الزواج باعداد المهر . وكتابة العقد بحيث ينتهى الامر . ويتم الوفاق . لا . ان هذا موضوع تتوقف عليه سعادة الزوجين أو شقاؤهما . فعلى من يرغب في الزواج ان يعمل كل الوسائط التي تساعده على رؤية من يرغبها زوجة له . . وفي الحديث الشريف (اذا خطب أحدكم

امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم)

ومن الاسباب الموجبة لهذا الزواج ان الغلام لا يكاد يبلغ عهد الشباب . وتنبسط له أسرار الحياة حتي يفكر في الحصول على شريكة تؤانسه . وقد فطر المرء على حب التناسل وأوجدت الطبيعة هذا الميل في بني الانسان كما أوجدته في سائر الحيوان . .

يتزوج الشاب بفتاة فيأخذها من احضان والديها وهي وديعة هادئة لا تعلم من أمور الحياة غير ما ألفته في عهد طفولتها فيدخل بها في ميدان فسيح الارجاء . وهي ترتعد فرقا وتجهل ما في هذا الميدان من الحياة الجديدة التي لا يدرك شيئا عن مستقبلها وهناك لا تجد غير زوجها فتتبعه وتنقاد اليه . وفي غضون تلك المدة تبتدىء في درس أخلاقه فتدرسه درسا دقيقا وترسخ في مخيلتها أطواره وأخلاقه . ويقترن هذا الدرس بحسن الظن به والاحترام ومطاعة له ظانة أنه قدوة تقتدي باعماله . ومصباحا يسطع عليها فيجلي ديجور المستقبل الحالك . . . فان سلك معها سبيل الرشاد وهذبها بحسن آدابه استفادت منه فائدة

لم تكن تستفيدها من والديها . وجعلته كنزها الذي لا يقدر بثمن . . . وتلك طبيعة خصها الله بالزوجة فتجعلها سهلة الانقياد لرفيق حياتها . سريعة الاقتباس منه . بل هى كالمرآة تنعكس على صفحاتها حقيقته وأخلاقه . وسرعان ما تستطيع بطباعه اما اذا أهملها أو أساء معاملتها ـ فسدت أخلاقها وقلت فيه ثقتها

ومتي عرف الزوج والزوجة حقوقهما لبعضهما عاشا فى سرور وهناء

وعلى الزوج أن يهذب زوجته بجميل الخصال . ويريها الرشد من الغي ـ واذا لاحظ عليها مالا يوافقه من أخلاقها وطباعها نبهها اليه . ولا يحدثها بما يجرح عواطفها ولا يظهر لها ميوله دفعة واحدة أو يجعلها من واجبات كلامه ـ بل يجعل مودته دليل حبه وانعطافه .

وعليه ـ أن يحافظ على حقوقها حتي يجعلها تميل اليه وتهواه وعلى الزوجة العاقلة أن تقتصد فى دخل زوجها . وتجعل شيئا للزمان يعودان اليه عند الحاجة وليعلما أن الحب المتبادل بينهما

هو أطهر حب وأشرف مرمي يفيدهما فائدة كبرى، ويوطد بينهما دعائم الالفة والصداقة .

ولا يكون بين الزوجين ملائمة واتفاق . الا اذا كان بينهما تناسب طبعي وأدبي

(التناسب الطبعي)ـ يشترط فيه أن يكون الزوج اكبر من الزوجة بعشرة أعوام على الاقل . وخمسة عشر عاما على الاكثر لان المرأة معرضة للامومة . واتعاب الحمل والرضاع والتربية . ومشاق الامور المنزلية فهي تعجز للطف بنيتها عن مناواة الايام قبل عجز الرجل واذا كانا بعمر واحد شاخت قبله . ويشترط أيضا أن تكون بارعة الجمال حسنة الخصال (التناسب الادبي) يشترط فيه أن يكون الزوج أوفر من الزوجة علما . وارجح عقلا . وان يكون ثروته اكثر من ثروتها (اذا كان لها ثروة) وان يضع نفسه في منزلة احترام منها ويمزج احترامه لها بالحنو والاشفاق عليها . . .

ومن الواضح المقرر أن الفتاة الحسناء ماخلقت الا لتكون معشوقة محبوبة . على أنها لا تكاد تحمل حملها . وتضع

طفلها حتى يسقط فرع لهـا وذؤابة ويتشوه ذلك الخصر الاهيف . . . لان المرأة ماخلقت الا لتكون أما وتغـدو والدة . وأن الرجل يولى عنها مدبراً اذا فقدت جمالها (وقيل) لاتسينوس — أى النسـاء أحسن فى التزويج (قال) اذا تزوجت بقبيحة فان نفسك تنفر منها عاجلا — واذا تزوجت جميلة فرعا زاحمك الناس عليها

اسرار اللقاء

الزيارة والمواصلة واللقاء عادة مألوفة عند المحبين (وقيل) إن المحبـة شجرة أصلها التزاور ولا يجب أن تكون الزيارة كل حين لان الاكثار منها ممل . ولا اقلال مخل . وفي الحديث الشريف (زر غباً تزدد حباً) وقال العباس بن جرير الزيارة تعطف القلوب . وتؤلف الارواح . وتظهر ما بطن من السرور بسرائر المحبين

وبكثرة التزاور . ومشـا كلة الجواهر يكون الاتفاق في الخصال . والزيارة من واجبات العشاق . فلقاء سـاعة .

خير من عام. ومن عجائب المحبين أنهم يتوهمون أن أيام اللقاء تقصر كثيراً. وساعات الجفاء تمتد طويلا — واليك بعض ماقالوه فى ذلك

إني لأحفظ سركم ويسرني
لو تعلمين بصالح أن تذكري
ويكون يوم لا أرى لك مرسلا
أو نلتقي فيه علي كأشهر
يا ليتني ألقى المنية بغتة
ان كان يوم لقائكم لم يقدر
ما كنت والوعد الذى تعدينني
الا كبرق سحابة لم تمطر

ولابن المعتز العباسى

زارني والدجي أحم الحواشي
والثريا في الغرب كالعنقود

وكأن الهلال طوق عروس

بات يجلى على غلائل سود

ليلة الوصل ساعدينا بطول

طول الله فيك غيظ الحسود

ولبعضهم

قد زار من كنت قبل زورته

أراه لكن بقسمة الامل

بتنا ضجيعين والعناق له

ثوب علينا قد زر بقبل

ولآخر

لله ليلة زارني متخوفا

عين الرقيب وسمع الجيران

عانقته وضممته متعففا

وعصيت فيه أوامر الشيطان

وللصفي الحلي

لله بالزوراء ليلتنا [illegible]

جرت [illegible]

ورشفت برد [illegible]

[illegible]

التعارف

[illegible] تعارف [illegible]

وجه الرجل [illegible]

بن طاهر [illegible]

[illegible] (وقد [illegible]

للتقاء من [illegible]

(هذا من [illegible]

والمرأة فالتعارف [illegible]

تجر عليها [illegible]

طاهرة [illegible]

(روي) أن امرأة ذات عقل ورأي حملت من فاجر فقيل لها في ذلك فقالت — قرب الوساد . وطول السهاد (تريد بذلك قرب مضجعه منها ومساراته أياها) — وقال سعيد بن مسلم — لئن أبصر امرأتي القبر وهي لا تراه أحب الي من أن ترى رجلا واحدا مواجهة . وعن النبي صلى الله عليه وسلم (باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فإن كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذي لا دواء له

وكل معرفة بين النساء والرجال تعد نسيجا ما ويحصل منها ألم شرف الفتاة . وضياع عرضها من نتائج حرف النظر عن الرجال الذي لا يلحقه شيء . . .

وعلى العاقل أن يفهم أنه مهما صنع بنساء قوم سيسلط الله عليه من يفعل ذلك بأهل بيته - وفي الحديث الشريف (عفوا تعف نسائكم)

(تم الكتاب)